مجلة
اللغة العربية وآدابها
المجلد8/ العدد 2/ ديسمبر2020. ص 429- 448

طبقة المؤدّبين في الأندلس، وإسهاماتها اللّغويّة والنّحويّة

the literate class in Andalus and their linguistic and grammatical efforts

شارف محمّد 1

تاريخ الإرسال: 25/08/2020	تاريخ القبول:04/12/2020	تاريخ النشر:30/12/2020

الملخص:

عرفت بلاد الأندلس تطوّراً ثقافيّا على مدار القرون الثّمانيّة التي حكم فيها المسلمون تلك الأرض، ومن العلوم التي عرفت منهجاً خاصّا علم النّحو، ومن المعروف أنّ العرب قد اعتنوا بهذا العلم، ويهدف البحث إلى دراسة عوامل نشوء مدرسة نحويّة خاصّة بالأندلسيّين، لها روادها وأعلامها، ومؤلّفاتها، بما أنّ نشأة تلك المدرسة كان عبر محطّات، كانت لبنتها الأولى متمثّلة في طبقة المؤدّبين والرّحلات العلميّة المتبادلة بين أعلام النّحو واللّغة في المشرق والأندلس، وغيرها من الإرهاصات التي أدّت في الأخير إلى بلورة الدّرس النّحويّ في الأندلس.

الكلمات المفتاحية: نحو ، أندلس، رحلات، شواهد، مناظرة.

Abstract:

The country of Andalusia has witnessed a cultural development over the course of the eight centuries in which the Muslims ruled that land, and among the sciences that knew a special approach to the science of grammar, and it is known that the Arabs have taken care of this science, and the research aims to study the factors of the emergence of a grammatical school for the Andalusians, which has its pioneers, flags, and writings , Since the establishment of that school was through stations, its first building was represented by the literate class and the mutual scientific trips between grammar and language scholars in the East and Andalusia, and other precursors that eventually led to the crystallization of the grammatical lesson in Andalusia.

***Key words**:grammar, Andalus, trips, evidences, debate*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

1جامعة أدرار moh.charef@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

تعدّ بلاد الأندلس من المناطق التي عرفت تواجد المسلمين، منذ فتحها على يد طارق بن زياد، سنة 92 للهجرة، ومنذ ذلك الوقت بدأت الشّخصيّة العربيّة تتبوّأ لها مكاناً بين أجناسٍ متباينةٍ، وأثبتت وجودها؛ ممّا انعكس إيجاباً على علاقتها بالقوط، وغيرهم من الأمم، وهكذا تمّ للمسلمين ما أرادوا، وفُتِحت الأندلس. وقد شهدت البلاد، منذ ذلك الحين، نهضة علميّة، ازدهرت في زمن الأمويّين، الذين أولوا عناية بالعلم والعلماء في شتّى المجالات اللّغويّة والدّينيّة وغيرها، كما ازدهرت عمليّة التّرجمة، وكثر الورّاقون والنّسّاخ، ممّا جعل قرطبة وما حولها من الحواضر تعجّ بأهل العلم والثّقافة، ممّا فتح المجال للرّحلات العلميّة بين المغرب والمشرق الإسلاميّين، فكانت المذاهب النّحويّة البصريّة والكوفيّة والبغداديّة والمصريّة – على سبيل المثال – معروفة لدى نحاة الأندلس، فأخذوا يتلقّفون ما بها من نصوص وآراء، لتتشكّل فيما بفضل جهود طبقة المؤدّبين.

فما هي إسهامات هذه الطّبقة في الدّرسين اللّغوي والنّحويّ؟

إجابة على ذلك نفترض ما يلي:

ظهرت في الأندلس طبقة المؤدّبين، وهم الذين كانوا يؤدّبون أولاد الخلفاء والأمراء، إضافة إلى كلّ من مارس مهنة تدريس الطّلاب في حلقات المساجد والأندية المخصّصة لذلك، وكانت العلوم الشّرعيّة المساعدة على فهم القرآن الكريم وما يتعلّق بها من فقه وتفسير ولغة ونحو وبلاغة وحديث نبويّ شريف من أهّم الموادّ التي خاض فيها المؤدّبون، يزوّدون بها الطّلّاب المتشوّقين للمعرفة، ولعلّ شغف الحكّام أنفسهم بالعلم وتدارسه كان دافعاً ومشجّعاً لأولئك المؤدّبين، الذين لاقوا ترحيباً ومساندة ماديّة ومعنويّة، من لدن هؤلاء الحكّام أمثال عبد الرّحمن النّاصر والحكم المستنصر، فكثرت المجالس العلميّة والمناظرات التي ذكر بعضها في كتب التّراجم الأندلسيّة، وكان بعض هؤلاء المؤدّبين من أصل مشرقيّ أتوا حاملين معهم مادّة علميّة غزيرة ساعدت على تعريف طلبة الأندلس بسير الخليل وسيبويه والأصمعي والكسائي والفرّاء وغيرهم من أعلام اللّغة والنّحو في المذهبين البصريّ والكوفيّ.

وعلى ضوء ذلك جاءت هذه الدّراسة للبحث في الدّور الذي لعبته طبقة المؤدّبين في الأندلس، بتشجيع من الحكّام، في التّعريف بالمذهبين البصري والنّحويّ، والسّير على منوالهما في المباحث اللّغويّة والنّحويّة، وكذا الرّحلات العلميّة المتبادلة بين علماء المشرق والأندلس، للتّزوّد بالمعارف والآراء، وكان اعتمادنا في هذه الدّراسة على المنهج التّحليليّ المناسب للموضوع، محاولين بسط مختلف النّقاط ذات العلاقة بالمؤدّبين ودورهم في الحركة العلميّة بالأندلس.

2. نشأة المدرسة النّحويّة في الأندلس

1.2 طبقة المؤدّبين

يمكن القول إنّ ظهور بوادر الدّرس النّحوي في الأندلس كانت في عهد "عبد الرّحمن الدّاخل"، أي منذ قيام الدّولة الأمويّة بهذه البلاد، وذلك بانتشار طبقة المؤدّبين، الذين كانوا يعلّمون الصّبيان مبادئ العربية، الفقه والحديث، وغيرها من العلوم الضّروريّة. «وكان تدريس الفقه، والحديث، والعربيّة، هو الشّيء الغالب على جماهير المدرّسين والمؤدّبين، وهم في تدريسهم يعتمدون الكتاب المشرقيّ في الغالب، ولذلك هاجرت كتب المشارقة إلى الأندلس بكثرةٍ، وكثرت رحلة الأندلسيّين إلى المشرق في طلب العلم، وكان الواحد منهم يشرّف بين بني قومه حين يروي عن شيوخ مصر، وبغداد، وغيرهما من بلدان المشرق»[1].

وقد كان لهذه الطّبقة دور في تعليم الطّلبة العلوم الضّروريّة، المتعلّقة بالقرآن الكريم؛ والتي منها النّحو العربيّ، الذي لا يزال يستقي من المَعين البصريّ والكوفيّ. فـ«لا نكاد نمضي في عصر بني أميّة بالأندلس (138 – 422 هـ)، حتّى تنشأ طبقةٌ كبيرةٌ من المؤدّبين، الذين كانوا يعلّمون الشّباب في قرطبة، وغيرها من الحواضر الأندلسيّة، مبادئ العربيّة، عن طريق مدارسة النّصوص والأشعار، يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم، وسلامة لغته وتلاوته»[2].

فالمؤدّبون كانوا ذوي ثقافةٍ متواضعةٍ، ومع ذلك فقد بذلوا مجهوداتٍ في الاتّصال بالمذهبَين البصريّ والكوفيّ، رغم أنّهم لم يكونوا متخصّصين في النّحو لوحده؛ فقد كان

أغلبهم من القرّاء، «ومنذ البداية، كان هؤلاء المؤدّبون قد اتّخذوا التّعليم حرفة يتعيّشون بها، دون أن يخالجهم شكٌّ في أنّ الأجر الذي يتقاضون حقٌّ من حقوقهم، بل لقد جرت العادة أن يقبض المؤدّب "جُعلًا" كلّما بلغ أحد تلامذته مرحلة الإتقان، والحذق لما تعلّمه، وقد عرف هذا الجعل في الأندلس بالحذقة»[3]

ومن المعقول أن يكون اعتماد المؤدّبين على كتب المشارقة؛ ذلك أنّهم كانوا حديثي عهد بهذه البلاد، فضلًا عن كونهم عرباً قادمين من المشرق، وهذا ما يفسّر تقليدهم ، الذي ليس عيبا مادام هو همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم المشارقة، فالقرآن واحد، والعلوم المتّصلة به واحدة، من تفسيرٍ، وحديثٍ، ونحوٍ، وما إلى ذلك.

فحلقات المؤدّبين في المساجد - وغيرها من المجالس - كانت لها آثارها الإيجابيّة على الطّلبة من أبناء الخلفاء وغيرهم، للتّحصيل العلميّ، ومن الجدير بالذّكر أن هؤلاء المؤدّبين كانوا في حدّ ذاتهم طلبةً للعلم أينما وُجد، فقد يسافر المؤدّب من مدينةٍ إلى أخرى قصد الاستزادة من العلم الضّروريّ، كأن يقصد قرطبة – مثلًا - أو إشبيلية، أو غيرهما، وقد كانت الأولى أوفر حظًّا؛ كونها عاصمةً للخلافة «وقد أخذت هذه الطّبقة من المؤدّبين على عاتقها مهمّة تدريس اللّغة العربيّة ونحوها، وعلوم القرآن لأبنائها في مدن الأندلس، ولا سيما قرطبة عاصمة الدّولة ... ولم يقتصر علم هؤلاء على تأديب أولاد الخاصّة، بل قام المؤدّبون في الأندلس بتعليم أبناء الخاصّة والعامّة»[4]

و«وما إن حلّ القرن الثالث، حتى غدت رحلات الأندلسيّين هدفاً أو فريضةً ثقافيّةً، فلقي بعضهم مشاهير اللّغويّين في البصرة والكوفة، أمثال: "الأصمعيّ"، و"السّجستانيّ"، و"الكسائيّ"، وتوغّل بعضهم؛ فلقي الأعراب، وأخذ عنهم مباشرةً. وهكذا نرى أنّ حَمَلة النّحو واللّغة في الأندلس كانوا - غالباً -، تلامذةً للمشارقة»[5].

وهي حقيقةٌ لا مراء فيها؛ لأنّ بروز الشّخصيّة العربيّة في الأندلس كان في نفس الفترة التي عرفت مشاهير اللّغويين والنّحويّين العرب، الذين كانوا يعقدون مجالسهم في بغداد، وما حولها من الأقاليم التّابعة للدّولة العباسيّة، فليس بالغريب أن نجد من الأندلسيّين من يممّ وجهه شطر المشرق، طلباً للعلم بشتّى أنواعه.

وقد ذكر أصحاب التّراجم عدداً من هؤلاء المؤدّبين، الذين اهتمّوا بالتّأليف في القراءات، وكانت لهم مجالس علميّةٌ في حواضر الأندلس المختلفة، ولعلّ من أوائل هؤلاء المؤدّبين، "أبو موسى الهوّاريّ"، الذي كان من أصحاب الفقه زيادة على كونه عالماً باللّغة، ذكره الزّبيديّ بقوله:

«رحل في أوّل خلافة الإمام "عبد الرّحمن معاوية" – رضي الله عنه-، فلقي "مالكاً" ونظراءه من الأئمّة، ولقي "الأصمعيّ"، و"أبا زيدٍ الأنصاريّ" ونظراءهما، وداخل الأعراب في محالّها. ولمّا صدر عن سفره عطب بنحو تُدمير (مرسية)، فذهبت كتبه. أخبرني محمّد بن عمر بن عبد العزيز، عن بعض المشيخة قال: قصد شيوخ أهل أُسْتُجَّة أبا موسى يهنّئونه بقدومه، ويعزّونه بذهاب كتبه، فقال لهم: ذهب الخرج، وبقي ما في الدّرج»[6].

فأبو موسى الهوّاري كان قد استعان بحافظته، رغم فقده جميع الكتب التي كان قد حملها من المشرق، ولم يحزن مادام قد حفظ، ووعى ما أخذه عن العلماء المذكورين، وهو أمر ليس بالهيّن، خصوصا إذا كان من التقاهم وأخذ عنهم في بلادٍ بعيدةٍ، مع ما يصاحب ذلك من مشقّة السّفر، ومخاطر الطّريق، واستحالة نسخ الكتب المفقودة، وقد كان هذا شأن سائر المؤدّبين. حيث يروون ما قرؤوا وما تعلّموا على طلبتهم بعد عودتهم إلى ديارهم.

وعلى كلٍّ، فإنّ للمؤدّبين فضلًا في تبلور المدرسة النّحويّة الأندلسيّة «كما فعل "جوديّ النّحويّ" (ت 289 ه)، حين أدخل كتاب "الكسائيّ"، وكما هو شأن "محمّد بن عبد الله الغازيّ"، الذي لقي في رحلته المشرقيّة "الرّيّاشيّ" و"أبا حاتمٍ"، وجلب إلى الأندلس علماً كثيرًا من الشعر، والغريب، والعربيّة، والأخبار، والخشنيّ الذي كان بصيراً بكلام العرب، وأحمد بن نعيمٍ، الذي جمع إلى العلم بالعربيّة تقدّماً في صناعة الشّعر، وحظًّا من البلاغة»[7].

وقد كان لهم مجالس للمناقشة حول بعض المسائل النّحويّة، سواءٌ بين بعضهم البعض، أو بينهم وبين تلامذتهم، وهي مجالس تنمّ عن الحسّ المشترك حول المسائل اللّغويّة، وطرق الاستشهاد لها أو عليها، من ذلك ما ذكره الزّبيديّ من أنّ "أبا محمّد الأعرابيّ" شكر "إبراهيم بن حجّاج" على شيء اصطنعه إليه، فقال: «تَاللهِ مَا سَيَّدَتْكَ

الْعَرَبُ إِلَّا بِحَقِّكَ؛ فَقَالَ أَبُو الْكَوْثَرِ الْخَوْلَانِيُّ – وَكَانَ حَاضِراً - : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، الْعُلَمَاءُ عِنْدَنَا بِالْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ: "سَوَّدَتْكَ"، فَقَالَ: السَّوَادُ السَّخَامُ، يُخْطِئُونَ وَيُصْحِفُونَ ! فَانْتَهَرَهُ إِبْرَاهِيمُ، وَقَالَ: تَتَسَوَّرُ عَلَى الْأَعْرَابِ فِي لُغَاتِهِمْ ! فَكَتَبَ أَبُو الْكَوْثَرِ إِلَى يَزِيدِ بْنِ طَلْحَةَ بِالْخَبَرِ، فَأَجَابَهُ: الْمَعْرُوفُ: "سَوَّدَتْكَ" بِالْوَاوِ»[8]

ومن القرّاء المؤدّبين المشهورين "عبد الملك بن حبيب السّلميّ الأندلسيّ"، المتوفي سنة 238 للهجرة، والذي ذكره القفطيّ بقوله: «كان قد جمع علم الفقه، والحديث، وعلم الإعراب، واللّغة، والتّصرّف في فنون الأدب، وله تصانيف جمّةٌ في أكثر الفنون، منها كتابه في "إعراب القرآن"، وكتابه في "شرح الحديث"، إلى غير ذلك »[9].

وذكره الحُمَيدي بقوله: «فقيهٌ مشهورٌ، متصرّفٌ في فنونٍ من الآداب، وسائرِ المعاني، كثيرُ الحديث والمشايخ، تفقّه بالأندلس وسمع، ثم رحل، فلقي أصحاب مالكٍ، وغيرهم»[10].

2.2 تشجيع الحكّام

منذ تولّي "عبد الرّحمن الدّاخل" الحُكم في الأندلس، ظهرت بوادر النّشاط في الحركة الثّقافيّة، وتطوّر ذلك مع من جاء بعده من أولاده وأحفاده، إلى أن جاء دور الخليفة "عبد الرّحمن النّاصر"، هذا الأخير الذي أظهر اهتماماً واسعاً بالعلم والعلماء، من خلال اعتنائه بالكتب والمكتبات، وتشجيعه لكلّ من أراد طلب العلم من سكّان قرطبة، وغيرها من الحواضر الأندلسيّة، وقد ساعده في ذلك طول مدّته في الحُكم.

وهذا التّشجيع، من لدن الخليفة "النّاصر"، قد أسهم في ازدهار الحياة الثّقافيّة والعلميّة بشكل ملحوظ؛ فقد أجرى الرّواتب على المهتمّين بالنّسخ، وهيّأ لهم الأجواء الملائمة لعملهم، حتى لا يفكّروا في غيره، وعليه يمكن القول إنّه قد أسهم في النّهوض بالعلوم. فـ«في عهده -رحمه الله- ازدهر العلم والتّعليم بصورةٍ ملحوظةٍ، وقد اهتم كثيراً بمكتبة قرطبة؛ تلك التي كانت قد تأسّست قبل ذلك الوقت، فزاد كثيراً في حجمها؛ حتّى بلغ عدد الكتب فيها أربعمائة كتابٍ، وهو زمنٌ لم تظهر فيه الطّباعة بعدُ، وإنّما كانت عن طريق النّسخ اليدويّ، الذي كان وظيفة النّسّاخين»[11]

وبعد موت الخليفة "عبد الرّحمن النّاصر"، خلفه ابنه "الحَكَم المستنصر"، والذي فاق والده من حيث الاهتمام البالغ بشؤون العلم والعلماء، بل إنّه كان في حدّ ذاته عالماً، وقد شهد عهده ازدهاراً للعلم والثّقافة، بشتّى أنواعها، سواءٌ في "قرطبة" أو في غيرها من المدن، ك"إشبيلية"، "طليطلة"، "المرية".

وقد أثنى عليه كلّ من تعرّض للحياة الثّقافيّة في الأندلس، إذ لا يمكن الحديث عن خلفاء البيت الأمويّ في "قرطبة"، دون الوقوف على إنجازات "الحكم المستنصر"، فهذا المقّري مثلا في "نفح الطّيب"، يعدّد خصاله، ومن ذلك قوله:

«وكان محبًّا للعلوم، مكرماً لأهلها، جمّاعًا للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحدٌ من الملوك قبله ... وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان – أنّ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعٌ وأربعون فهرسةً، وفي كل فهرسةٍ عشرون ورقةً، ليس فيها إلّا ذكر أسماء الدّواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقًا نافقةً جُلبت إليها بضاعةٌ من كلّ قطر»[12].

فإذا كان عدد الفهارس بهذا العدد، فلنا أن نتصور عدد تلك المؤلّفات المذكورة في الفهارس، وهذا دليلٌ على شغف الحكم بجمع الكتب. ويضيف المقّريّ – نقلا عمّن سبقه من المترجمين – أنّ هذا الخليفة قد أرسل إلى "أبي الفرج الأصفهانيّ" في طلب نسخةٍ من كتاب "الأغاني"، وأنّ هذا الأخير قد لبّى الطّلب، فظهرت نسخته بالأندلس، قبل ظهور الكتاب في المشرق.

يقول: «وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالًا من التّجّار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتّى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه، وبعث في كتاب "الأغاني" إلى مصنّفه "أبي الفرج الأصفهانيّ"، وكان نسبه في بني أميّة، وأرسل إليه فيه بألف دينارٍ من الذّهب العَين، فبعث إليه بنسخةٍ منه، قبل أن يخرجه إلى العراق»[13]

فكتاب "الأصفهانيّ" ما هو إلّا نموذجٌ واحدٌ من مؤلّفاتٍ عدّةٍ يكون الحَكَم قد أرسل في طلبها، لتضمّ إلى مكتبته. ومن الواضح أنّ الحَكم كان يغدق على العلماء؛ لكي يستجيبوا لطلباته المتعلّقة بالنُّسَخ الأولى من المؤلّفات، بل أكثر من ذلك. فـ«كثيراً ما كان الحكم يتجاوز حدّ اقتراح الموضوع على المؤلّف؛ فيشاركه، أو يرسم له طريقة تقسيمه، كما فعل

مع الزُّبيديّ عندما طلب إليه أن يكتب كتاباً في طبقات النّحويّين، وعرّفه المنهج الذي يريده في تأليف الكتاب»[14]

وأبو بكر الزّبيديّ (316 – 379 هـ – 928 – 989 م) من مشاهير علماء اللّغة والنّحو بالأندلس، في القرن الرّابع الهجريّ، وكتابه المذكور هو "طبقات النّحويّين واللّغويّين"، الذي يقول في مقدّمته:

«وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لِمَا اخْتَصَّهُ اللهُ بِهِ، وَمَنَحَهُ الْفَضِيلَةَ فِيهِ؛ مِنَ الْعِنَايَةِ بِضُرُوبِ الْعُلُومِ، وَالْإِحَاطَةِ بِصُنُوفِ الْفُنُونِ، أَمَرَنِي بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ مَنْ سَلَفَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ مَنْ تَلَاهُمْ مِنْ بَعْدُ، إِلَى هَلُمَّ جَرًّا، إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَأَنْ أُطْبِقَهُمْ عَلَى أَزْمَانِهِمْ وَبِلَادِهِمْ؛ بِحَسَبِ مَذَاهِبِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَأَذْكُرَ مَعَ ذَلِكَ مَوَالِدَهُمْ، وَأَنْسَابَهُمْ، وَمُدَدَ أَعْمَارِهِمْ، وَتَارِيخَ وَفَاتِهِمْ، عَلَى قَدْرِ الْإِمْكَانِ فِي ذَلِكَ، وَبِحَسَبِ الْإِدْرَاكِ لَهُ ...»[15]

والحقيقة أن الكّلام عن "الحَكَم المستنصر" يطول، لو تتبّعنا بعض إنجازاته، التي تخدم العلم والعلماء، وذلك على الرّغم من بعض منتقديه، الذين عابوا عليه صرف أموالٍ كثيرةٍ في سبيل تحصيل الكتب، ممّا جعله ينشغل عن أمور أخرى أهمّ، تخص الدّولة الإسلاميّة، يقول "حسين مؤنس":

«ولم يكن "الحَكم" مجرّد حاكم يعطف على العلماء، ويرعى العلوم، بل كان هو نفسه عالماً مشاركاً في علوم عصره، فقد كان متقناً للعلوم الإسلاميّة؛ حتّى سمع الحديث منه الشّيوخُ، وأجاز مرويّاتهم وأجازوه مرويّاتِهم، وكانت أبوابه مفتّحةً لطلبة العلم، ولا يردّ منهم أحداً. وأنشأ في القصر مكتبةً لا نبالغ إذا قلنا إنّها أعظم مكتبةٍ أنشأتها دولةٌ إسلاميّةٌ في القرون الوسطى»[16]

ولنا أن نتصوّر عدد هؤلاء المفهرسين والنّسّاخ والمسجّلين، وما كان ينفَق عليهم في سبيل نقل وترجمة الكتب، ونسخها ثم فهرستها، غير أنّ ما يهمّنا هنا هو تلك العناية التي أولاها آخر خلفاء الدّولة الأمويّة في الأندلس للعلم وأهله. وهو عدد لا يستهان به، لأنّ هذه الوظائف تتطلّب الصّبر والإتقان، والتفرّغ التام، للنّهوض بالعلم. وبما أن "الحكم "كان من

المشجّعين على التّأليف والنّسخ في قرطبة ونواحيها، فلا نعجب إذا كان هناك عددٌ معتبرٌ من المكتبات التي انتشرت في ربوع الأندلس.

«ولم يكن هذا الشّغف بجمع الكتب، في عصر الحَكم، قاصراً على الأمير، فقد عنى كثيرٌ من كبار العصر وعلمائه، بإنشاء مكتباتٍ خاصّةٍ زاخرةٍ بنفائس الكتب. وشُغِفَ النّساء المثقّفات كذلك بجمع الكتب، وإنشاء المكتبات، ومن أشهر هؤلاء "عائشة بنت أحمد بن قادمٍ"، وكانت من أبرع نساء عصرها، علماً وأدباً وشعراً»[17]

ولم ينقطع الاهتمام بالكتب وجمعها ونسخها في عصر ملوك الطّوائف، ولا في عصر المرابطين، وقد ساعدت الرّحلات من الاندلس وإليه على ذلك الاهتمام بالكتب، ونقلها من مكانٍ إلى مكانٍ، «وكان المظفّر صاحب "بطليوس" جمّاعةً للكتب ...وجمع أحمد بن عبّاس، الكاتب وزير زهير الفتى، كتباً كثيرةً، حتّى قيل إنّ عددها بلغ أربعمائة ألف كتابٍ. وكان القنطريّ من أهل "شلب" جمّاعةً للكتب والدّواوين، كما كان ابن مدرك المالقيّ التّاريخيّ النّسّابة بصيرًا بالخطوط مميّزًا لها، واقتنى من الدّواوين والدّفاتر عظيمها»[18]

وقد تفاوت حظّ الممالك الأندلسيّة من الأدب والشّعر، والنّحو وغيرها، حسب طبيعة الحُكم الموجود فيها، إلى غير ذلك من الأسباب، فالعلوم والآداب مثلا كانت في "غرناطة" وفي "طليطلة" أقلّ منها في "إشبيلية"، حيث بلاط بني عبّاد، «فقد أصبح هذا البلاط – وأصحابه عربٌ ذوو نزعةٍ شعريّةٍ واضحةٍ – مقصدًا للشّعراء من أنحاء مختلفة ... هذا إلى جانب ضروبٍ أخرى من التّشجيع الأدبيّ، فللمعتضد ألَّفَ الأعلم الشّنتمري شرح الأشعار السّتّة، وشرح الحماسة، وألّف غيرُه دواوين وتصانيف لم تخرج إلى الناس»[19]

فتشجيع الحكّام في الأندلس كان من العوامل التي ساعدت على تأسيس مدرسةٍ نحويّةٍ في تلك البلاد البعيدة، سواءٌ في عصر الخلافة، أو بعد ذلك، وقد توسّع الأمر في عصر ملوك الطّوائف، وحتّى في عصري المرابطين والموحّدين، حيث أصبحت كلّ المدن مراكزَ للثّقافة والعلم، وقد اختلفت الميول -حسب كل بلاط-، فإذا كانت إشبيلية معروفةً بالجانب الأدبيّ، الذي يبرز في تقريب المعتضد والمعتمد للشّعراء أمثال "ابن زيدون" و"ابن عمار"، و"ابن اللّبانة"، و"ابن حمديس"، فإن بلاطَي "ذي النّون" بـ"طليطلة"، و"بني هود"

بـ"سرقسطة" كانـا ذوَي ميـل علميّ، بينمـا كانـت المباهـاة بجمـع أكبر عـددٍ مـن العلمـاء المشهورين في الفقه، والحديث، واللّغة، ميزةً لبلاط "العامريّين" في "دانية"[20]

3.2 رحلات الأندلسيّين إلى المشرق

رغم بُعد المسـافة، إلّا أن علماء المغرب والأندلس كانوا يرحلـون إلى بلدان المشـرق العربيّ، للأخذ عن النّحاة واللّغويّين هناك، قبل العودة إلى الدّيار، ومحاولة تدريس بعض مـا جلبـوا مـن هنـاك، سـواءٌ كان ذلـك بصـريًّا أو كوفيًّـا. فقـد «أخـذت الدّراسـات النّحويّـة تزدهـر، وكانـت في بدايـة أمرهـا متـأثّرةً بمـذهب الكـوفيّين، ومـردّ ذلـك إلى أنّ أقـدم نحـاة الأنـدلس؛ وهـو "جـوديّ بـن عثمـان" المتـوفيّ سـنة 198 هـ،كان قـد رحـل إلى المشـرق، ولقـي "الكسـائيّ" و"الفـرّاء" وغيرهما»[21]

وقد نشطت حركة الرّحلات العلميّة نحو بغداد، وغيرها من البلدان من قِبَل علماء المغرب والأندلس، سواءٌ في مواسم الحجّ، أو في سائر المواسم، وذلك من أجل الاستزادة من العلـم، وسـنذكر بعضـاً مـن الـذين اسـتوطنوا أرض الأنـدلس، بعـدما جلبـوا إليهـا كثيرًا مـن الأشعار والأخبار، والكتب المتعلّقة بالنّحو واللّغة، فضلًا عن العلوم الأخرى.

ومـن الـذين تثقّفـوا في المشـرق العربيّ "سـوار بـن طـارق" «مـولى عبـد الـرحمن بـن معاويـة، قرطبيٌّ، حجّ، ودخـل البصـرة، ولقـي "الأصـمعيّ" ونظراءه، وانصـرف إلى الأنـدلس، وأدّب "الحَكـم"، ومِـن ولده"محمّـد بـن عبـد الله بـن سـوار"، حـجّ أيضـا، ولقـي "أبـا حـاتمٍ" بالبصرة، و"الرياشيّ"، وغيرهما، وأدخل الأندلس علماً كثيرًا»[22]

وقـد تـرجم لـه الزّبيـديّ في الطّبقـات، بعـدما ذكـره في الطّبقـة الأولى مـن نحـاة المغـرب والأندلس، كما ترجم لابنه عبد الله في الطّبقة الثّانية، مضمّناً إيّاها ذكراً لحفيده محمّدٍ، من ذلك قوله عن عبد الله:

«كان من أهل العلم باللّغة، متفنّناً في علم الأدب، ورحل ابنه محمّد إلى المشرق، ولقي أبا حاتمٍ[23] والرّياشيّ[24] وغيرهما، وكانا رفيقين»[25]

ISSN: 2352-9830 EISSN: 2600-6898

فعبد الله وابنه كانا قد درسا النّحو البصريّ، وربّما أخذا شيئاً من النّحو الكوفيّ أيضا؛ ماداما قد لقيا جماعةً من النّحاة في تلك الفترة المذكورة، أي خلال القرن الثّالث الهجريّ.

ومن اللّغويّين الأندلسيّين الذين رحلوا إلى المشرق، وتثقّفوا هناك، قبل العودة إلى قرطبة، وتدريسه للطّلبة، "أبو عبد الله محمّدٌ بن يحيى بن عبد السلام الأزديّ"، المعروف بالرّباحيّ، وقد ذكره الزّبيديّ في الطّبقة السّادسة من نحاة المغرب والأندلس بقوله:

«ورحل إلى المشرق، فلقي أبا جعفر النّحّاس[26]، فحمل عنه كتاب سيبويه روايةً، ولازم علّان وناظره، وكان يذكر من دقّة نظره، وجودة قياسه. وقدم قرطبة فلزم التّأديب بها في داره، فانجفل النّاس إليه، ثم انتقل إلى أحد الحديريّين، فمكث عنده مدّة، وقُرئ عليه كتاب سيبويه، وأُخذ عنه رواية، وعقد للمناظرة فيه مجلساً في كلّ جمعةٍ»[27]

فابن يحيى، قد حاول شرح وتبسيط الكتاب للطّلاب في مجلسه، بعدما كان قد أخذه وفهم مسائله، في مصر عن "النحّاس"، وهو ما يعني أن معظم الرّحلات العلميّة كانت بهدف مدارسة المذهبين البصريّ والكوفيّ، وبالأخصّ كتاب سيبويه «وعُني به عنايةً بالغةً، فاقت عناية من سبقه من الأئمّة، فأخذ يشرح مسائله، ويغوص وراء معانيه، وقد ساعده على ذلك دقّة نظره، وعمق ثقافته، وقدرته الفائقة على الاستنباط والتّحليل، والتّدقيق، والاعتراض، والجواب، وطرد الفروع على الأصول»[28]

ومن الذين رحلوا إلى المشرق نجد "محمّدًا بن عبد الله بن الغازيّ"، الذي بذل جهودًا في سبيل نقل ما تيسّر من الشّعر والأخبار إلى الدّيار الأندلسيّة، إضافة إلى مرويّاته الكثيرة، عن شيوخه المشارقة. أمّا الغازيّ بن قيسٍ فـ«كان ملتزماً للتّأديب بقرطبة أيّام دخول الإمام عبد الرّحمن بن معاوية – رضي الله عنه - الأندلس، ثمّ رحل إلى المشرق، وشهد تأليف مالكٍ للموطّأ، وهو أوّل من أدخله الأندلس، وأدرك نافع بن أبي نُعَيمٍ، وقرأ عليه، وهو أوّل من أدخل قراءته. وكان الخليفة عبد الرّحمن – رضي الله عنه – له مجلاً معظّماً، وكان يأتيه ويصله في منزله»[29]

كما نجد من بين النّحاة الذين ذهبوا إلى المشرق، بغية الاستزادة من العلم، محمّداً بن عبد السّلام بن ثعلبة الخشنيّ، الذي يذكر أنّه «كان فصيح اللّسان بصيرًا بكلام العرب، رحل إلى المشرق، وقد أقام في رحلته متجوّلاً خمساً وعشرين سنةً، فلقي بالبصرة أبا حاتمٍ السّجستانيّ، والرّياشيّ، وأبا إسحاقٍ الزياديّ[30]، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللّغة، رواية عن الأصمعيّ وغيره، ودخل بغداد، فسمع بها عن غير واحدٍ، وأدخل الأندلس كثيراً من كتب اللّغة والشّعر الجاهليّ، إضافة إلى كثيرٍ من كتب الحديث»[31]

ونجد من هؤلاء الشّمر بن نُمَيرٍ النّحويّ المقرئ، الذي ذكره القفطيّ بقوله: «كان من أهل العلم بالعربيّة واللّغة، ورحل من قرطبة بعد التّأدّب بها إلى المشرق، فلقي رجالاً من أهل الحديث، منهم حسين بن أبي ضُميرة، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- واستوطن مصر، وروى عنه عبد الله بن وهبٍ وغيره من نظرائه، وتوفّي هنالك»[32]

ومن الرّاحلين الأندلسيّين إلى المشرق، محمّد بن موسى بن هاشم بن زيد الأفُشتيق (بضمّ الفاء وسكون الشّين)، المتوفّي سنة ثلاثمائةٍ وسبعةٍ للهجرة، هذا الأخير الذي «لقي أبا جعفر الدّينوريّ، وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته، وأخذ عنه روايةً، وأخذه عن المازنيّ، وروى كتب ابن قتيبة، عن إبراهيم بن جميل الأندلسيّ، أخذها عنه بمصر، وله كتبٌ مؤلفةٌ في الأدب، منها شواهد الحِكَم، وكتاب طبقات الكُتّاب»[33]

4.2 رحلات المشارقة إلى الأندلس

إنّ الحديث عن رحلات المشارقة إلى الأندلس – كما ذكرنا- لم يكن بهدف طلب العلم؛ لسبب بسيط؛ وهو أن المشرق كان أوفر حظًّا؛ لوجود أشهر العلماء هناك، سواء في اللّغة؛ أو النّحو؛ أو الأخبار، فلم يكن هناك داعٍ للسّفر من أجل طلب ما أخذ أصلاً عن المشرق، لكن ما يلاحظ على هؤلاء المهاجرين نحو الأندلس أنّهم «أقلّ عددًا بكثيرٍ من نظرائهم الأندلسيّين الرّاحلين إلى المشرق، ولم تكن غايتهم من الرّحلة طلب العلم؛ لأنّ المشارقة كانوا يرون أنّهم أوفر نصيباً من الأندلسيّين في الشّئون العلميّة، ولذلك كانت لهم من الرّحلة غاياتٌ أخرى؛ منها التّجارة، أو التّكسب عامّةً، أو أسبابٌ أخرى خاصّة»[34]

ولعلّ من أبرز العلماء الوافدين على الأندلس، في أيّام الخليفة عبد الرّحمن النّاصر، أبو علي القاليّ البغداديّ، الذي أحسن الحكم المستنصر استقباله، وأمر وجوه رعيّته بالمجيء معه إلى قرطبة، وكان على رأسهم "ابن رماحس"

وقد ذكر الحُميدي أنّ الخليفة المذكور «قد كتب إليه، ورغّبه في الوفود عليه، واستوطن قرطبة، ونشر علمه بها، وكان إماماً في علم اللّغة، متقدّماً فيها، متقناً لها، فاستفاد النّاس منه، وعوّلوا عليه، واتّخذوه حجّةً فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التّقييد والضّبط والإتقان، وقد ألّف في علمه الذي اختصّ به تواليف مشهورةً، تدلّ على سعة روايته، وكثرة إشرافه، وأملى كتاباً سماه: "النّوادر"»[35]

وللقاليّ كتاب الأمالي، وهو أشهر كتبه، كما أنّ له كتاب "المقصور والممدود"، ومعجم "البارع في اللغة"، «وباسم الحَكَم طرّز أبو عليّ كتاب الأمالي المشهور، وكان قبل ولاية الأمر وبعدها ينشّطه ويعينه على التّأليف بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام»[36]

وقد ذكر أصحاب التّراجم أنّ أبا عليّ القاليّ قد جاء، ومعه مجموعةٌ كبيرةٌ من دواوين الشّعراء، من جاهليّين، ومخضرمين، وإسلاميّين، وحتّى من المولّدين، «فحمل معه قصيدة "عمرو بن كلثوم"، وقصيدة "لقيط بن معمر الإياديّ"، مقصورة "ابن دريد" والمربّعة ل"ابن دريد"، وقصيدة "كعب بن زهير" في مدح الرّسول – عليه الصّلاة والسّلام -، وقصيدة "الفرزدق": "هَذَا الذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ"، والقصيدة اليتيمة لـ"ذي الرّمّة"، "هَلْ بِالطُّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ"»[37]

وقد اشتهر "كتاب الأمالي" في الأندلس، وكان القاليّ: «قد أملى كتابه الأماليّ على طلّابه بجامع قرطبة، ويعدّ هذا الكتاب في مقدّمة كتب الأدب العربي، وقد اشتمل على بعض البحوث اللّغويّة، والنّحويّة، والصّرفية مثل: "مطلب في الكلمات التي تتعاقب فيها الفاء والثّاء"، "وما في لعلّ من لغات العرب"، "وما يُمَدّ ويُقصر من الكلمات"، "وما يُقلب من حروف المضاعف إلى الياء"، و"حروف البدل، والكلام على الإتباع"»[38]

ومن الوافدين على قرطبة في زمن المنصور، الأديب واللّغويّ صاعد [39] البغداديّ، هذا الأخير الذي ورد -هو الآخر- أرض الأندلس من بغداد، في زمن هشام المؤيّد، وولاية المنصور بن أبي عامر، والذي ذكره "ابن بشكوال"، نقلاً عن "الحُميدي"، هذا الأخير الذي وصفه بقوله: «كان عالماً باللّغة والآداب والأخبار، سريعَ الجواب، حسنَ الشّعر، طيّبَ المعاشرة، فكه المجالسة ممتعاً، فأكرمه المنصور، وزاد في الإحسان إليه، والإفضال عليه. وكان مع ذلك محسناً للسّؤال، حاذقاً في استخراج الأموال، طيّبا بلطائف الشّكر»[40]

وعلى الرّغم من الأوصاف المذكورة، فإنّه لم يلق التّرحيب الذي لقيه القاليّ قبله، فقد «دفعوه بالجملة عن العلم باللّغة. وأبعدوه عن الثّقة في علمه وعقله ودينه. ولذلك ما رضيه أحدٌ من أهلها أيّام دخوله إليها، ولا رأوه أهلاً للأخذ عنه، ولا للاقتداء به، وغرّقوا كتابه المترجم بـ"الفصوص"، فها هو إلى اليوم في نهرهم يغوص»[41]

5.2 - المناظرات

لقد عرفنا أنّه كان لنحاة البصرة والكوفة العديد من المجالس، التي أخذت شكل المناظرة النّحويّة، وقد جرت مجالس مشابهة لذلك في الأندلس، «وقد تنوّعت المناظرات اللّغويّة في الأندلس، وأخذت عدّة أشكالٍ: فمنها ما كان بين الطّالب والمؤدّب ... أمّا الشّكل الآخر للمناظرات، فهو المناظرة بين نحويٍّ وآخر، وهذه المناظرات كانت شائعةً إلى حدٍّ كبيرٍ، وقد أثّرت هذه المناظرات الدّرس النّحويّ إلى أقصى درجة»[42]

وقد كانت تجري بعض المناظرات في مجالس الخلفاء والعلماء بالأندلس، وهي شبيهةٌ بتلك التي كانت تقام بين البصريّين والكوفيّين في المشرق، حول بعض المسائل النّحويّة والصّرفية، وقد أورد المقّري بعضاً منها، والذي ينقل فيه عن ابن بسّامٍ صاحب "الذّخيرة"، إذ يذكر هذا الأخير بعض ما جرى في المجالس من مناظرات.

ولعلّ أبرزها ما ذكره بخصوص "صاعدٍ البغدادي" المذكور، في مجلس ضمّ الزّبيدي والعاصميّ[43] وابن العريف[44] وغيرهم، عند المنصور، فسأله هذا الأخير «عن أبي سعيدٍ السّيرافي، فزعم أنّه لقيه، وقرأ عليه كتاب سيبويه. فبادره العاصميّ بالسؤال عن مسألةٍ من الكتاب، فلم يحضره فيها من جوابٍ، واعتذر أن النّحو ليس جلّ بضاعته. ولا رأس

صناعته. فقال له الزّبيديّ: فما تحسن أيّها الشّيخ ؟ قال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق ؟ فضحك صاعدٌ، وقال: أمثلي يُسأل عن هذا ؟ إنّما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزّبيديّ: فقد سألناك، ولا نشكّ أنّك تجهله. فتغيّر لونه، وقال: "أفعل". قال الزّبيديّ: صاحبكم ممخرق !»[45]

3. المدرسة الكوفيّة و أثرها في النّحو الأندلسيّ[46]

وهذا ما دفع بهم إلى اعتمادها، بدل آراء المدرسة البصريّة، المعروفة بتشدّدها في العديد من المسائل، ورفضها رواية أشعار الكثير من الشّعراء، بسبب قبائلهم وعصورهم. من هنا يمكن القول إنّ روّاد المدرسة الأندلسيّة قد تبنّوا المنهج الكوفيّ لبُعده عن التّعقيد والتّشدّد.

هذا الأخير الذي دفع بالأندلسيّين إلى اقتفاء أثر الكوفيّين في العديد من المسائل، نظراً لقرب التّوجه، ولنشوء المدرستين في وقتٍ متقاربٍ، على عكس المدرسة البصريّة، التي بلغت مرحلةً متقدمةً، «فقد بدأ اتّصال الأندلسيّين بالمذهب النّحويّ الكوفيّ مبكّرًا؛ حيث تتلمذ بعض الأندلسيّين للكسائيّ والفرّاء وثعلب. وواضح أنّ إحدى الطّرق المهمّة – وربّما كانت أهمّ الطّرائق – التي تواصل بها الأندلسيّون والكوفيّين: الرّحلةُ، والتّلمذةُ المباشرة لشيوخ المذهب الكوفيّ، وواضعي سماتِهِ»[47].

1.3كثرة الرّواية عن العرب:

وإذا كان البصريّون متشدّدين، فإنّ الكوفيّين على العكس من ذلك تماماً، خاصّةً فيما يخصّ الرّواية عن العرب، فالبصريّون قد اعتمدوا على القياس بشكلٍ كبيرٍ، وهذا ما جعلهم يرفضون العديد من الشّواهد والمسائل التي اعتمدها الكوفيّون، كلّ ذلك جعل الأندلسيّين الوافدين يُقبلون على المذهب الكوفيّ. هروباً «من تشدّد البصرة في فصاحة العربيّ، الذي تأخذ عنه اللّغة والشّعر، وتساهل الكوفيّين؛ حتّى إنّهم كانوا يأخذون عن الأعراب الذين قطنوا حواضر العراق، ممّا جعل بعض البصريّين يفخر على الكوفيّين بقوله: "نحن نأخذ اللّغة عن حرشة الضّباب، وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشّواريز، وباعة الكواميخ"»[48]

ومن الأمثلة على توظيف الشّواهد الشّعريّة التي عدّها البصريّون في خانة الشّاذّ، ذهاب الكوفيّين إلى جواز مجيء الفعل المضارع صلة ل (أل)، وممّا استدلّ به المجيزون قول الشّاعر:

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلُ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ[49]

وهو ما ذهب إليه ابن مالك من الأندلسيّين، وذلك في قوله: «فَوَجَبَ اعْتِقَادُ الْأَلِفِ وَاللّامِ فِي: التَّرْضَى، والْيَجْدَعُ، وَالْيَرَى، وَالْيَرُوحُ أَسْمَاء بِمَعْنَى الذي، لَا حَرْفَ تَعْرِيف»[50]

2.3 الابتعاد عن التأويل:

المعروف عن المنهج البصريّ تشدّده في الرّواية، وإهمال الشّاذّ منها، أو إخضاعه للأقيسة المعتمدة لديهم، ولو بالاعتماد على التّأويل، بينما عُرف عن المنهج الكوفيّ اعتماده على الشّواهد، واستخراج القواعد، بمعنى أنّهم قد يقيسون على الشاذّ، ويجعلون منه أصلاً، لدرجة «أنّ التّأويل والتّقدير كثُر عند البصريّين بطريقةٍ لافتةٍ للنّظر، وذلك تبعاً لرفضهم كثيراً من الأمثلة العربيّة الصّحيحة، ونتيجةً لمحاولاتهم المتكرّرة إخضاع الأمثلة العربيّة الصّحيحة لأقيستهم النّظريّة البحت»[51]

وربّما كان لكلّ فريق عذرٌ فيما ذهب إليه، إذ لو كان البصريّون - وهم أوائل النّحاة – الذين نهضوا بالعربيّة – متساهلين في الرّواية عن مختلف الأعراب في البوادي والأمصار، لانتفى التّقعيد النّحوي، وربما اختلفت التّقديرات باختلاف الرّوايات، والأمر نفسه بالنّسبة للكوفيّين، الذين بدا لهم أن التّشديد قد يُخرج العديد من الشّواهد من دائرة التّقعيد النّحويّ، رغم كونها صحيحةً بوجهٍ من الوجوه.

وإذا كان اعتماد البصريّين منصبّاً على القياس، والكوفيّين على السّماع، فإنّ نحاة الأندلس قد آثروا السّماع على القياس، تماشياً وتيسير النّحو، والابتعاد - ما أمكن - عن التّأويل، الذي قد لا يخدم الشّاهد النّحويّ، خصوصًا إذا كان بعيداً. «لذلك، فلا غرابة أن يتوجّه الأندلسيّون إلى الكوفيّين للإفادة منهم في منهجهم النّحوي، إذا كان يحقّق رغبةً ما فتئت تتأصّل في أعماق النّفس الأندلسيّة، قوامها الاعتداد الكامل بالنّص والاحتماء به. ولا يعني ذلك أنّ المنهج البصريّ لم يلق قبولًا من الأندلسيّين، بل العكس هو الصّحيح»[52]

4. خاتمة

وفي ختام البحث يمكن الإشارة إلى النّتائج التّالية:

1 – ظهرت في الأندلس طبقة من المؤدّبين، الذين سافر جمع منهم إلى المشرق طلباً للعلم، قبل العودة إلى الأندلس.

2 - كان أغلب هؤلاء المؤدّبين من طبقة القرّاء، ومع ذلك فقد درسوا على أئمّة اللّغة والنّحو بالمشرق، وساهموا في التّعريف بنتاج أولئك.

3 - كانت حركة الرّحلات من وإلى الأندلس نشيطة، سيما في ظلّ الخلافة الأمويّة بالمغرب، نظراً للظّروف السّياسيّة التي ساعدت على ذلك، فقد ورد على الأندلس أبو علي القالي، وصاعد البغدادي وغيرهما.

4 - من أشهر المؤدّبين في الأندلس: جوديّ النّحويّ، وأبو موسى الهوّاريّ، وسوار بن طارق، ومحمّد بن عبد السّلام الخشنيّ، وعبد الملك بن حبيب السّلميّ.

5 – ساهم تشجيع الحكّام كعبد الرّحمن النّاصر، والحكم المستنصر، وغيرهما في الأندلس في تطوّر الحركة العلميّة والثّقافيّة، حيث وجد المؤدّبون والورّاخون والمترجمون الجوّ ملائماً لعملهم.

6 – كانت الجهود النّحويّة لدى طبقة المؤدّبين ذات توجّه كوفيّ فغي الغالب، ومع ذلك فإنّنا نجد منهم من اهتمّ بشرح مسائل الكتاب.

7 – أنّ لنحاة الأندلس عنايةٌ فائقةٌ بكتاب سيبويه، الممثّل للنّحو البصريّ منذ ظهوره واشتهاره هناك.

الهوامش

[1] - إحسان، عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر سيادة قرطبة، دار الثّقافة، بيروت، ط2، 1969، ص: 38-39.

[2] - شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف، القاهرة، ط7، د.ت.ص: 288.

[3] - ألبير حبيب، الحركة اللّغويّة في الأندلس، منذ الفتح العربيّ، حتّى نهاية عصر ملوك الطّوائف، الجامعة الأميركيّة، بيروت، أيّار1965. ص: 28.

[4] - الحديثي خديجة، المدارس النّحويّة، دار الأمل، إربد، ط3، 2001، ص: 308.

[5] - يوسف عيد، النّشاط المعجميّ في الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص: 33.

[6] - الزّبيديّ، محمّد بن الحسن، طبقات النّحويّين واللّغويّين، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص: 253.

[7] - مصطفى عليان عبد الرّحيم، تيّارات النّقد الأدبيّ في الأندلس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1984، ص: 14-15.

[8] - الزّبيديّ، مصدر سابق، ص: 271-272.

[9] - القفطيّ، علي بن يوسف، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، ط1، 1986، ج2، ص: 206.

[10] - الحُميديّ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ج2، ص: 447.

[11] - السّرجانيّ، راغب، قصّة الأندلس، من الفتح إلى السّقوط، مؤسّسة إقرأ للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص: 223.

[12] - المقّريّ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ج1، ص: 385 - 386.

[13] - المصدر نفسه، ج1، ص: 386.

[14] - إحسان، عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر سيادة قرطبة، ص: 70.

[15] - الزّبيديّ، طبقات النّحويّين واللّغويّين، ص: 17.

[16] - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرّشاد، مكتبة الأسرة، طبعة خاصّة، ص: 383.

[17] - محمّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوّل، القسم الأوّل، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ص:

[18] - إحسان عبّاس، عصر الطّوائف والمرابطين، دار الشّروق، عمّان، الإصدار الأول، 1997، ص: 46-47.

[19] - المرجع نفسه، ص: 61-62.

[20] - ينظر ألبير حبيب، الحركة اللّغوية في الأندلس، منذ الفتح العربيّ، حتّى نهاية عصر ملوك الطّوائف ، ص: 195.

[21] - السّنجرجيّ، مصطفى عبد العزيز، المذاهب النّحويّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة، المكتبة الفيصليّة، ط1، 1986، ص: 79.

[22] - المقّريّ، نفح الطّيب، ج2، ص: 46.

[23] - أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان السّجستانيّ البصريّ، روى عن الأخفش، توفّي سنة 255 هجريّة، ذكره الزّبيديّ في الطّبقة السّابعة، ص: 94.

[24] - العبّاس بن الفرج الرّياشيّ، مولى محمّد بن سليمان بن عليّ، يكنّى أبا الفضل، يقول الخشنيّ: كان المازنيّ في الإعراب، و أبو حاتم في الشّعر والرواية، وكان الرّياشيّ في الجميع، وكان أهل البصرة إذا اختلفوا في شيء قالوا ما قال فيه أبو الفضل، قتل سنة 257 هجريّة ترجمته في : (طبقات الزّبيديّ : ص: 97)

[25] - الزّبيديّ، طبقات النّحويّين واللّغويّين، ص: 260.

[26] - أبو جعفر النّحّاس، نحويّ مصريّ، رحل إلى بغداد، وأخذ بها عن نحاة البصرة كالزّجّاج والمبرّد، نوفي سنة: 338 هجريّة.

[27] - الزّبيديّ، طبقات النّحويّين واللّغويّين، ص: 311.

[28] - السّنجرجيّ، مصطفى عبد العزيز، المذاهب النّحويّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة، ص: 80.

[29] - الزّبيديّ، طبقات اللّغويّين والنّحويّين، ص: 254.

[30] - أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان الزّيادي، كان نحويًّا لغويًّا راويةً، قرأ على سيبويه كتابه، ولم يتمّه، وروى عن أبي عبيدة والأصمعيّ، وكان شاعرًا، صنّف الأمثال، وشرح نكت سيبويه، توفي سنة 249 هـ.(طبقات الزّبيديّ، ص: 99).

[31] - درين، محمّد بن عمّار، تأثير الكوفيّين في نحاة الأندلس، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرّياض، ص: 793-794.

[32] - القفطيّ، إنباه الرّواة، ج2، ص: 75.

[33] - الزّبيديّ، طبقات النّحويّين واللّغويّين، ص: 282.

[34] - ألبير حبيب، مرجع سابق، ص: 35.

[35] - الحُمَيديّ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 253.

[36] - الرّافعيّ، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ط، د.ت، ج2، ص: 229.

[37] - مصطفى عليان عبد الرّحيم، تيّارات النّقد الأدبيّ في الأندلس، ص: 21.

[38] - السّنجرجيّ، مصطفى عبد العزيز، مرجع سابق، ص: 80.

[39] - ترجمته في: الحُميديّ، جذوة الاقتباس، ص: 373. و ابن بشكوال: الصّلة، ج1، ص: 321.

[40] - ابن بشكوال، أبو القاسم، الصّلة، تح: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط1، 2010، ج1، ص: 322.

[41] - الشّنتيري، ابن بسّام، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، 1997، القسم الرّابع، ص: 9.

[42] - فادي، صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة المغرب والأندلس، ص: 30.

[43] - محمّد بن عاصم النّحويّ القرطبيّ، يكنّى أبا عبد الله (الصّلة لابن بشكوال، ج2، ص: 102، رقم التّرجمة: 1034).

[44] - أبو القاسم الحسين بن الوليد.

[45] - الشّنتيري، ابن بسّام، الذّخيرة، القسم الرّابع، ص: 15.

[46] - لا نقول إنّ المغاربة والأندلسيّين قد أحدثوا قطيعة مع المذهب البصريّ في النّحو، لأنّهم عرفوا سيبويه والمبرّد كما عرفوا الكسائيّ والفرّاء، بل إنّ كثيراً منهم قد درّس وناقش مسائل (الكتاب)، بل وشرحه جمهرة منهم، كابن الباذش (ت: 528هـ)، و ابن خروف (ت: 606هـ)، والصّفّار (ت: بعد 630هـ)، وغيرهم، ولعلّ الاهتمام الأكبر ب(الكتاب) وشواهده نجده لدى الأعلم الشّنتمريّ، في كتابه: "النّكت في تفسير كتاب سيبويه، وتبيين الخفيّ من لفظه وشرح أبياته وغريبه"، ولعلّ ثورة ابن مضاء على النّحاة تدخل في هذا الإطار. (عن الكتاب

وشروحه في المغرب والأندلس، ينظر، الحديثي خديجة، كتاب سيبويه وشروحه، مطابع دار التضامن، بغداد، ط1، 1967.)

[47] - درين، محمّد بن عمّار، تأثير الكوفيّين في نحاة الأندلس، ص: 62.

[48] - أحمد مختارعمر، البحث اللّغويّ عند العرب، مع دراسة لقضيّة التّأثيروالتّأثّر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.ص: 137. والعبارة الأخيرة وردت في أخبار النّحويّين البصريّين للسّيرافي بصيغة أخرى، في ترجمة أبي الفضل عبّاس بن الفرج الرّياشيّ، الذي يقول: "إنّما أخذنا اللّغة عن حَرَشَةِ الضِّباب، وَأَكَلَةِ الْيَرَابِيعِ، وَهَؤُلَاءِ أَخَذُوا اللُّغَةَ عَنْ أَهْلِ السَّوَادِ، أَصْحَابِ الْكَوَامِيخِ وَأَكَلَةِ الشَّوَارِيزِ. (ص: 68).

[49] - البيت للفرزدق، ينظرتخريجه في: شرح جمل الزّجّاج لابن عصفور، 42/1 – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص: 136 – شرح شذور الذّهب لابن هشام الأنصاري، ص: 34 – شرح الفارضي على الألفيّة، 254/1.

[50] - ابن مالك، جمال الدّين، شرح التّسهيل، تح: عبد الرّحمن السّيّد، محمّد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر، الجيزة، ط1، 1410هـ - 1990م، 202/1.

[51] - أحمد مختارعمر، المرجع نفسه، ص: 138.

[52] - درين، محمّد بن عمّار، مرجع سابق، ص: 801.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊